دور الكلمة فى الجهاد الإسلامى
فى العهد النبوى

إعداد

د/ حمام السيد أحمد بدوى
مدرس الأدب والنقد بالكلية

بسم الله الرحمن الرحيم

دور الكلمة فى الجهاد الاسلامى فى العهد النبوى

قبل الحديث عن دور الكلمة فى الجهاد الاسلامى فى العهد النبوى أود أن أبين أهمية « الكلمة » كوسيلة قوية التأثير فى النفوس ، إذ من خلالها يتمكن الانسان من نقل أفكاره وبثها الى الآخرين والعمل على إقناعهم بها .

لذا فالجهاد لا يكون فقط بالسلاح المادى . بل هناك سلاح الكلمة ، الكلمة المفيدة البليغة الواقعة موقعها فى حكمة وإتقان ، ومن هنا اعتبرت العرب الكلمة أحياناً أشد فى التأثير من العقاب الحسى ، أو الطعن المادى ، ومن أمثالهم « رب قول أشد من صول » (١) ، ولهذا فقد عول العرب كثيرا على سلاح الكلمة فى حربهم مع أعدائهم لتثبيط عزائمهم والنيل من معنوياتهم ، « فلقد أدرك شعراء العصر الجاهلى ذلك الغرض النفسى من المعارك مع بعضهم البعض ، وهبوا

---

١ – أساس البلاغة : الزمخشرى ج ٢ ص ٣٢ ، ٣٣ ، مادة : صول ، طبع ثالثة ، الهيئة العامة للكتاب عام ١٩٨٥ م .

بالسنتهم يشجعون ويثبطون عزيمة غيرهم حتى تضعف فيهم الروح المعنوية ، ويسلبونهم الثقة بالنفس » (٢) .

وقد أشار القرآن الكريم فى مواضع كثيرة الى عظيم شأن الكلمة ، ومكانتها الجليلة ، وتأثيرها البالغ ، وأطلق الكلمة على أمور ذوات بال ، لعلاقة ما بين المعنى اللغوى وبين هذه الأمور فقال جل وعلا فى سورة الأنعام : « **وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم** » (٣) وقال سبحانه وتعالى فى سورة فاطر : « **من كان يريد العزة فلله العزة جميعا إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه** » (٤) وجاء فى سورة الكهف « **قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا** » (٥) .

---

٢ – العدة النفسية والمادية فى شعر الحروب الجاهلية ، د. عبد الرحيم محمود زلط ، ص ٥٨ ، طبع دار المعارف عام ١٩٨٥ م .

٣ – سورة الأنعام آية : ١١٥ .

٤ – سورة فاطر آية : ١٠ .

٥ – سورة الكهف آية : ١٠٩ .

وجاء فى سورة إبراهيم : « **ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء** » (٦) .

وكما أشار القرآن الكريم الى أثر الكلمة العظيم ، فقد وردت بعض الأحاديث النبوية التى تشير الى أثر الكلمة المفيدة البليغة الواقعة موقعها فى حكمة وإتقان .

جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال : « أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر » (٧) ، كما قال : « المؤمن يجاهد بلسانه وسيفه » (٨) ، وقال أيضاً : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان » (٩) .

---

٦ – سورة إبراهيم آية : ٢٤ .

٧ – سنن ابن ماجة : كتاب الفتن ج ٢ ص ١٣٣ ، رقم الحديث ٤٠١٢ ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ، ط. دار إحياء التراث العربى .

٨ – مسند الامام احمد بن حنبل ج ٣ ص ٤٥٦ – المكتب الاسلامى للطباعة والنشر سنة ١٤٠٣ هـ .

٩ – صحيح مسلم ، باب الايمان ج ٢ ص ٢١ ، وسنن ابن ماجة ج ٢ ، رقم الحديث ٤٠١٣ .

ولقد كانت حياة المسلمين فى العهد النبوى حافلة بالمغازى والسرايا، فوعى الشعراء المسلمون دور الكلمة المؤثر فى هذا المجال، ينافحون بها دين الله، ويدفعون بها عن رسول الله ﷺ، ويثبطون بها معنويات أعدائهم، ويرفعون بها معنويات جند الاسلام. ويتغنون من خلالها بانتصاراتهم، ويرثون بها شهداءهم.

وهذا كعب بن مالك (١٠) يظهر مكانة الشعر فى التأثير النفسى عند المقاتلين، قال ابن سيرين: قال كعب بن مالك بيتين كانا سبب إسلام دوس وهما:

قضينا من تهامة كل وتر
وخيبر ثم أغمدنا السيوفا

تخيرنا ولو نطقت لقالت
قواطعهن دوسا أو ثقيفا

---

١٠ ـ كعب بن مالك بن ابى كعب. كان احد شعراء الرسول ﷺ، الذين كانوا يردون الأذى عنه، وكان مجوداً مطبوعاً، فعن عبد الله بن كعب بن مالك، قال: نيارسول الله ماذا ترى فى الشعر؟ فقال رسول الله ﷺ: «المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه» مات رضى الله عنه ايام قتل على بن ابى طالب كرم الله وجهه «الاستيعاب فى معرفة الاصحاب لابن عبد البر»، تحقيق محمد على البجاوى، ج ٣ ص ١٣٢٣.

فلما بلغ ذلك دوساً قالوا: خذوا لأنفسكم، لا ينزل بكم ما نزل بثقيف (١١).

وهذا أبو جندل عبد الله بن سهيل بن عمرو القرشى من المؤمنين السابقين الذين عذبوا فى الاسلام، والمستشهد يوم اليمامة، يوضح منهم المؤمن المقاتل عن عقيدة، ويرهب عدو الله وأعداء الاسلام، ويبين لهم أن السلامة فى إسلامهم:

أبلغ قريشاً عن أبى جندل
أنا بذى المروة فالساحل

فى معشر يخفق إيمانهم
بالبيض فيها والقنا الذابل

يأبون أن تبقى لهم رفقة
من بعد إسلامهم الواصل

أو يجعل الله لهم مخرجا
والحق لا يغلب بالباطل

فيسلم المرء بإسلامه
أو يقتل المرء ولم يأتل (١٢)

---

١١ ـ نفس المصدر السابق.
١٢ ـ الاستيعاب فى معرفة الاصحاب، جـ ٤ ص ١٦٢٢.

وأول ما يتلقانا من شعر الجهاد الاسلامى فى مقتل الدعوة الاسلامية ذلك الشعر الذى ورد فى غزوة بدر الكبرى التى أعز الله فيها الاسلام وأيدهم بنصره . إذ نرى نماذج شعرية معبرة عن الروح الفدائية المتطلعة الى النصر أو الشهادة ، كتلك الأنشودة اتى كان يرددها الصحابى الجليل عمير بن الحمام بن الجموح الأنصارى أول من استشهد من الأنصار فى غزوة بدر . إذ قاتل الأعداء وهو يقول :

ركضاً الى الله بغير زاد
إلا التقى وعمل المعاد
والصبر فى الله على الجهاد
إن التقى من أعظم السداد
وخير ما قاد الى الرشاد
وكل حى غالى نفاد (١٣)

وتبلغ هذه النزعة الفدائية مبلغاً عالياً فى شخصية « عبد الله بن رواحة » أحد قادة جيش مؤتة ، فبعد أن تهيأ الجيش لملاقاة الأعداء خرج الناس فى وداعه داعين

---

١٣ ـ اسد الغابة ج ٢ / ١١٢ ـ ١١٣ والبيت الأخير منها فى الاصابة فى تمييز الصحابة ج ١ ص ٤١٨ .ـ

المولى العلى القدير بالنصر المبين ، قائلين لهم : صحبكم الله ، ودفع عنكم ، وردكم إلينا صالحين ، فقال عبد الله ابن رواحة :

لكنى أسأل الله مغفرة (*)
وضربة ذات فرع تقذف الزبدا
أو طعنة بيدى حران مجهزة
بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا
حتى يقولوا إذا مروا على جدتى
أرشدك الله من غاز وقد رشدا (١٤)

وفى الطريق أخذ يتمثل بهذه الأبيات :

إذا أدنيتنى وحملت رحلى
مسيرة أربع بعد الحساء
فشأنك أنعم وخلالك ذم
ولا أرجع الى أهلى ورائى
وجاء المسلمون وغادرونى
بأرض الشام مشتهى الثواء

---

* ـ البيت مكسور عروضيا ، وكى يستقيم يصبح :
لكننى اسأل الرحمن مغفرة

١٤ ـ تاريخ الطبرى ج ٣ / ٣٧ ، ج ٣ ص ١٥٩ .
١٥ ـ اسد الغابة ج ٣ / ١٥٨ .

وردك كل ذى نسب قريب
الى الرحمن منقطع الرجاء

هنالك لا أبالى طلع بعل
ولا تخل أسافلها رواء(١٥)

ويمضى الوقت ، ويستقر القتال ، ويدنو الموت ، فتأخذ النفس فى التردد بين الاقبال والاحجام ، فتتغلب قوة الايمان على هوى النفس وحب الحياة ، فتدفع صاحبها الى الثبات ونيل المراد الذى طالما تمنته بالأمس . فاذا به يهتف ويقول :

أقسمت يا نفس لتنزلنه
طائعة أو فلتكرهنه

إن أجلب الناس وشدوا الرنة
مالى أراك تكرهين الجنة

قد طالما كنت مطمئنة
هل أنت إلا نطفة فى شنة

يا نفس إلا تقتلى تموت
هذا حمام الموت قد صليت

وما تمنيت فقد أعطيت
إن تفعلى فعلها هديت(١٦)

---

١٦ ـ اسد الغابة ج ٣ ص ١٥٩ .
عجز البيت تضطرب موسيقاه ، ويضبط بزيادة الكاف هكذا :
. . . . . .
إن تفعلى كفعلها هديت

وإذا مضينا نستعرض بعض شعر الجهاد نرى فيه نماذج فتاكة تكاد تكون فى وقعها أشد من السهام ، إذ تعمل على إضعاف روح العدو المعنوية بل وتعمل على إماتتها فيه .. انظر الى قول المجذر بن زياد البلوى وهو يدعو أبا البخترى القرشى فى غزوة بدر :

أنا الذى أزعم أصلى من بلى
ألا ترى مجزرا يفرى فرى

أطعن بالحربة حتى تنثنى
وأعضب القرن بعضب مشرفى

بشر بيتم إن لقيت البخترى
أو بشرن بمثلها منى بنى(١٧)

وبعد أن نال من معنوياته ، وأضعف من روحه وأوقع الرعب فى قلبه ، بارزة فأرداه قتيلا . وهذا نموذج آخر تبرز فيه أهمية الكلمة وقوة تأثيرها فى ميدان القتال ، يقول « على بن أبى طالب » كرم الله وجهه مخاطباً جموع الشرك فى غزوة بدر :

---

١٧ ـ اسد الغابة ج ٤ ص ١٤٣ .

أنا الذى سمتنى أمى حيدرة
ضرغام آجام وليث قسورة
عبل الذراعين شديد القصرة
كليث غابات كريه المنظرة
أكليكم بالسيف كيل السندرة
أضربكم ضرباً يبين الفقرة
وأترك القرن بقاع جزرة
أضرب بالسيف رقاب الكفرة
ضرب غلام ماجد حزورة
من يترك الحق يقوم صعره
أقتل منهم سبعة أو عشرة
فكلهم أهل فسوق فجره(١٨)

والملاحظ على هذه الأشعار خلوها من المعانى الدينية ، مع أن قائليها ممن تربوا على تعاليم الاسلام أيام كان ينزل الوحى على قلب رسول الله ﷺ وهم من حوله ، وقد أشربت قلوبهم بحب الله ورسوله وتهيأت نفوسهم للذود عن

١٨ ـ ديوان الامام على : ص ٥٣ ـ جمع وترتيب : عبد العزيز الكرم . ومعجم الشعراء ـ المرزبانى ص ١٣٠ ، ت. عبد الستار احمد فراج ، ط. الحلبى .

الدعوة الاسلامية ورائدها سيدنا محمد ﷺ ، ولا غرابة فى ذلك إذ لم يضمنوا أشعارهم معانى دينية لأنهم عرفوا كيف يوظفون الكلمة ويضعونها فى موضعها المناسب ، لتبلغ غايتها فى التأثير .. فهم أمام عدو مشرك لا يؤمن بالله ورسوله ولا يتأثر بتعاليم الاسلام .. فالأجدى فى ذلك الارتكاز على المؤثرات المادية التى ترهب الأعداء .. وتفت فى معنوياتهم ، لذا فهم فى أشعارهم يركزون على الصور الترهيبية إذ تبلغ شجاعتهم مبلغ الأسود فى اقتناص الفرصة والسطو على الأعداء وتمزيقهم .. كما يرتكزون على تضمين أشعارهم بعض الصفات التى تملأ قلوب الأعداء أسى وغيظاً كالتعبير بالكفر والفسوق والفجور ...

« وتلك هى اللغة التى تؤثر فيه ، وتنال من قوته ، وترجف قلبه ، وترعش يده . وقد لجأ إليها الشاعر المسلم كما لجأ الى الاشارة الخفيفة الى كفر العدو ، أو فسقه وفجره أحياناً ليملأ نفسه غيظاً منه .. وبكل ذلك نجحت هذه الأراجيز فى إثارة نفس المقاتل المسلم نجاحاً منقطع المثال » (١٩) .

١٩ ـ الشعر الاسلامى فى ظلال النبوة والخلافة الراشدة . د/ عبد السلام عبد الحفيظ ، ص ١٣١ ، طبع قاصد خير .

ولم يقف دور الشعر عند هذا الحد ، بل كان يمتد مولد وأثره بعد مغادرة ميادين القتال والجهاد .. إذ كان شعراء المسلمين يتغنون فرحين بما قدموه من فدائية مخلصة لنصرة الدين الحنيف ، فهذا سعد بن أبى وقاص — رضى الله عنه — يعتز بجهاده فى وقعة بدر ، تراه يقول :

ألا هل اتى (*) رسول الله أنى
بكل حزونة (٢٠) وبكل سهل
فما يعتد رام فى عدو
بسهم يارسول الله قبلى
وذلك أن دينك دين صدق
وذو حق أتيت به وعدل
ينجى المؤمنون به ويخزى
به الكفار عند مقام مهل
فمهلا قد غويت فلا تعبنى
غوى الحى ويحك يا ابن جهل (٢١)

---

* — وصلت همزة القطع للضرورة الشعرية .
٢٠ — الحزونة : الوعر من الأرض ، والسهل ضده .
٢١ — السيرة النبوية . لابن هشام ج ٢ ص ٦٣١ .

والى جانب هذه الأشعار التى تبرز فرحة المجاهدين بنصرهم لدين الاسلام — نجد أشعارا تشير الى تسجيل بعض مواقف المعركة متضمنة الذم للمشركين أعداء الدين ، وشيدة بنصر الله للمؤمنين . فهذا حسان بن ثابت شاعر الرسول ﷺ يقول بعد « بدر » :

وخبر بالذى لا عيب فيه
بصدق غير إخبار الكذوب
بما صنع المليك غداة بدر
لنا فى المشركين من النصيب
غداة كأن جمعهم حراء
بدت أركانه جنح الغروب
فلاقيناهم منا بجمع
كأسد الغاب مردان وشيب
أمام محمد قد وازروه
على الأعداء فى لفح الحروب
بأيديهم صوارم مرهفات
وكل مجرب خاظى الكعوب (٢٢)

---

٢٢ — خاظى الكعوب : أى مكتنز شديد .

بنـو الأوس الغطـارف وازرتهـا

بنـو النجـار فى الدين الصليب

فغـادرنا أبـا جهـل صريعـاً

وعتبـة قـد تركنـا بالجبـوب(٢٣)

وشـيبة قـد تركنـا فى رجـال

ذوى حسـب إذا نسبوا حسـيب

يناديهـم رسـول اللـه لمـا

قذفنـاهم كبـاكب فى القليب(٢٤)

ألـم تجـدوا كـلامى كان حقـاً

وأمـر اللـه يأخـذ بالقـلوب

فما نطقوا ، ولـو نطقوا لقـالوا

صدقت وكنت ذا رأى مصـيب(٢٥)

وبعـد ، فقـد رأينـا فى النص السـابق إشارات الى ما كان يقـوله رسـول الله ﷺ — لأهـل القليب ، وفيهـا تضمين لما

---

٢٣ — الجبـوب : الأرض الغليظـة ، ويقـال : الجبـوب : وجـه الأرض .

٢٤ — كبـاكب : جمـع كبكبة ، وهى الجمـاعة من النـاس . والقليب : البئـر .

٢٥ — السـيرة النبـوية ، ج ٢ ص ٦٧٩ ، ٦٨٠ .

كـان يغتبط بـه المسلمون من فرحـة النصـر على جنـد الشرك . فضـلا عن ذم أعـداء الاسـلام والتشهير بهـم بغيـة إضـعاف معنـويات الأحيـاء منهـم .

ويمضى بنـا الشـعر فى ميـادين الجهـاد فنـأخذ طرفـاً منـه فى أحـداث غـزوة أحـد ، لنـرى من خـلاله دوره العظيم الذى اضطلع بـه فى هـذه الغـزوة .

— وكمـا نعـلم — فبعـد انتصـار جنـد الاسلام فى بـدر توعـد قـادة الشرك المسلمين .. فأعدوا العـدة المـادية والمعنوية التى تعينهـم على النصـر فأخـذ شعراؤهم يطلقـون قصائدهم التى من شـأنها إضـعاف الـروح المعنـوية للمسلمين وترهيبهم من عدوهـم ، فكـان لزامـاً على شعراء الاسـلام أن يردوا على هـذه المزاعـم ، ويردوا عليهـم كيدهـم .. وهـذا « حسـان ابن ثابت » شـاعر الاسلام يـرد على هبـيرة بن وهـب شـاعر الشـرك . يقـول حسـان بن ثابت — رضى اللـه عنـه — :

سـقتم كنانة جهـلا من سفاهتكم

الى الرسول فجنـد الله مخزيهـا

أوردتموها حياض المـوت ضاحية

فالنـار موعدها والقتـل لاقيهـا

جمعتموها أحابيشاً بلا حسب

أئمة الكفر غرتكم طواغيها

ألا اعتبرتم بخيل الله إذ قتلت

أهل القليب ومن ألقيته فيها

كم من أسير فككناه بلا ثمن

جز ناصية كنا مواليها (٢٦)

ويلتحم الجيشان ، وتستعر الحرب فيحرز العدو نصرا خاطفاً فيأخذ شعراء العدو فى الاشادة بهذا النصر ، وهنا يتصدى لهم شعراء الاسلام فيردون عليهم مقولاتهم . ويظهرون لهم ألا غضاضة فى هزيمة جند الاسلام فالأمر كله لله .. فقد حالفهم النصر أولا ثم لحقتهم الهزيمة ثانياً .. ويوضحون لهم أن قتلى المسلمين فى الجنة وقتلى المشركين فى النار . تتمح ذلك فى صور تدل على الأسى العميق الذى حل بالمسلمين آنئذ .

وهذا ـ كعب بن مالك ـ يرد على عبد الله بن الزبعرى فيقول :

---

٢٦ ـ السيرة النبوية . ج ٣ ص ٩٣١ .

وقال رسول الله لما بدوا لنا

ذروا عنكم هول المنيات واطعموا

وكونوا كمن يشرى الحياة تقرباً

الى ملك يحيا لديه ويرجع

ولكن خذوا أسيافكم وتوكلوا

على الله إن الأمر لله أجمع

فسرنا إليهم جهرة فى رحالهم

ضحياً علينا البيض لا نتخشع

بملمومة فيها السنور والقنا

إذا ضربوا أقدامها لا تورع

فجئنا الى موج من البحر وسطه

أحابيش منهم حاسر ومقنع

فلما تلاقينا ودارت بنا الرحى

وليس لأمر حمه الله مدفع

وأنت تراه فى البيت الأخير يشير الى هزيمة المسلمين فى « أحد » ويوضح أن الهزيمة التى منوا بها إنما هى بارادة الله عز وجل . ولا راد لقضائه ، ويزيد المعنى تأكيدا فيقول :

فقلنا ونال القوم منا وربما
فعلنا ولكن ما لدى الله أوسع
ونحن أناس لا نرى القتل سبة
على كل من يحمى الذمار ويمنع
عمدنا الى أهل اللواء ومن يطر
بذكر اللواء فهو فى الحمد أسرع
فخانوا وقد أعطوا يدا وتخاذلوا
أبى الله إلا أمره وهو أصنع (٢٧)

ولاشك أن غزوة « أحد » تمخض عنها استشهاد عدد كبير من أصحاب رسول الله ﷺ ، وقد كان فقد أولئك الرجال خسارة جسيمة للمجتمع الاسلامى فأثار ذلك مشاعر الحزن فى شعراء الاسلام فرثوهم بقصائد تدل على صدق العاطفة ، وفداحة الخطب الذى نزل بالمسلمين .. وهذا نموذج لـ كعب بن مالك رثى به شهداء أحد فقال :

نشجت وهل لك من منشج
وكنت متى تذكر تلجج (٢٨)

٢٧ ـ السيرة النبوية لابن هشام ، ج ٣ ص ٩١٧ : ٩١٩ .
٢٨ ـ نشجت : بكيت . المنشيج : البكاء مع صوت متردد ، وتلجج ـ هو من اللجج ، وهو التمادى فى الشىء والاقامة عليه .

تذكر قوم أتانى لهم
أحاديث فى الزمن الأعوج
فقلبك من ذكرهم حافق
من الشوق والحزن المنضج
وقتلاهم فى جنان النعيم
كرام المداخل والمخرج
بما صبروا تحت ظل اللواء
لواء الرسول بذى الأضوج
غداة أجابت بأسيافها
جميعاً بنو الأوس والخزرج
وأشياع أحمد إذ شايعوا
على الحق ذى النور والمنهج
فما برحوا يضربون الكماة
ويمضون فى القسطل المرهج (٢٩)
كذلك حتى دعاهم مليك
الى جنة دوحة المولج

٢٩ ـ القسطل : الغبار . والمرهج : الذى ثار حتى علا وارتفع فى الجو .

فكلهم مات حر البلاء

على ملة الله لم يحرج (٣٠)

وقد جاءت أشعار كثيرة متضمنة رثاء شهداء أحد ، يضيق المقام بذكرها ، لذا فقد اكتفيت بذكر النموذج السابق .

والآن أعود لأبرز دور الكلمة وأهميتها فى تثبيط معنويات الأعداء وإرهابهم وإيقاع الرعب فى قلوبهم . فعندما غادر الرسول ﷺ وقعة أحد هو ومن معه . لقيه « معبد الخزاعى » بحمراء الأسد ، وكان « معبد الخزاعى » فى ذلك الوقت مشركاً ، فقال : « يا محمد ، أما والله لقد عز علينا ما أصابك فى أصحابك ، ولوددنا أن الله عافاك فيهم . ثم خرج ورسول الله ﷺ بحمراء الأسد حتى لقى أبا سفيان ابن حرب بالروحاء وقد أجمعوا الرجعة الى رسول الله ﷺ وأصحابه ، وقالوا أصابنا حد أصحابه وأشرافهم وقادتهم ثم نرجع قبل أن نستأصلهم ، لنكرن على بقيتهم فلنفرغن منهم . فلما رأى أبو سفيان معبدا قال : ما وراءك يا معبد ؟ قال : محمد قد خرج فى أصحابه يطلبكم فى جمع لم أر

٣٠ — السيرة النبوية : ج ٣ ص ٩٢٢ — ٩٢٣ .

مثله قط يتحرقون عليكم تحرقاً ، قد اجتمع معه من كان تخلف عنه فى يومكم ، وندموا على ما ضيعوا فيهم من الحنق عليكم شىء لم أر مثله قط ، قال : ويحك ما تقول ! قال : والله ما أرى أن ترتحل حتى ترى نواصى الخيل ، قال : فوالله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصل بقيتهم ، قال : فإنى أنهاك عن ذلك ، ووالله قد حملنى ما رأيت على أن قلت فيهم أبياتاً من شعر ، قال . وما قلت ؟

قال : قلت :

كادت تهد من الأصوات راحلتى

إذ سالت الأرض بالجرد الأبابيل (٣١)

تردى بأسد كرام لا تنابلة

عند اللقاء ولا ميل معازيل (٣٢)

فظلت عدوا أظن الأرض مائلة

لما سموا برئيس غير مخذول (٣٣)

فقلت : ويل ابن حرب من لقائكم

إذا تغطمطت البطحاء بالجيل (٣٤)

٣١ — تهد : معناه تسقط من الاعياء لهول ما رأت من اصوات الجيش وكثرته . والجرد : الخيل العتاق ، والأبابيل الجماعات .

٣٢ — تردى : تسرع . والتنابلة : القصار . والميل : جمع أميل ، وهو الذى لا رمح له ، والمعازيل : الذين لا سلاح لهم .

٣٣ — العدو : المشى السريع ، وسموا : علوا وارتفعوا .

٣٤ — ابن حرب : هو ابو سفيان ، وتغطمطت : معناه اهتزت وارتجت . البطحاء : السهل من الأرض ، والجيل : الصنف من الناس .

إنى نذير لأهل البسل ضاحية
لكل ذى إربة منهم ومعقول (٣٥)

من جيش أحمد لاوخش قنابله
وليس يوصف ما أنذرت بالقيل (٣٦)

فثنى ذلك أبو سفيان ومن معه» (٣٧) .

وبعد ، فالنص غنى عن التعليق . فقد رأينا من خلاله دور الكلمة الفعال فى إثناء الأعداء عن مرادهم ، باضعاف عزائمهم وإلقاء الرعب فى قلوبهم .. والرجل بحق قد هيأه الله عز وجل لخدمة الاسلام وأصحاب رسول الله ﷺ .. إذ من خلال مقولاته وحواره مع قائد جيش الكفر استطاع أن يرد كيده فى نحره ، وأن يلقى الرعب فى قلبه ، وأن يضعف من عزمه ، وأن يثنيه عن مراده .. فقد أخذ فى براعة بالغة يصور له قوة جيش المسلمين ، وصدق عزمهم فى

---

٣٥ ـ البسل : الحرام ، واراد باهل البسل قريشا لانهم اهل مكة ، ومكة حرام ، والضاحية : البارزة للشمس . والاربة : العقل .

٣٦ ـ الوخش : رذال الناس وأخساؤهم .

٣٧ ـ السيرة النبوية ، جـ ٣ ص ٨٨٣ ـ ٨٨٥ .

التشفى من أعدائهم .. وزاد الأمر هولا عندما ضمن شعره هذا البيت الذى يقول فيه :

من جيش أحمد لاوخش قنابله
وليس يوصف ما أنذرت بالقيل

فكانت هذه المقولات بحق نصراً للاسلام وأهله .

إذ غير صورة المسلمين فى نظر أعدائهم من الضعف الى القوة وفى موقفهم من الدفاع الى الهجوم .

وبعد ، فلما كان شعر الجهاد غزيرا فى مادته ـ ويضيق المقام بعرضه والوقوف عنده ـ فانى أرى أن أختم بحثى هذا بشعر لحسان بن ثابت رد فيه على ابن الزبعرى، عقيب غزوة الخندق ، وفى النص يصور حسان ـ رضى الله عنه ـ جموع الأحزاب التى ألبها اليهود من المشركين والبوادى والأعراب اقتتال النبى ﷺ وأصحابه ، فوردت جموعهم المدينة على أمل النصر والغنيمة فردهم الله بغيظهم وأرسل عليهم ريحاً عاصفة فرقت جموعهم ، ومزقت شملهم ، وكفى الله المؤمنين القتال .

يقول حسان بن ثابت ـ رضى الله عنه ـ :

واشك الهموم الى الاله وما ترى
من معشر ظلموا الرسول غضاب

ساروا بأجمعهم إليه وألبوا

أهل القرى وبوادى الأعراب

جيش عيينة وابن حرب فيهم

متخمطون بحلبة الأحزاب (٣٨)

حتى إذا وردوا المدينة وارتجوا

قتل الرسول ومغنم الأسلاب

وغدوا علينا قادرين بأيدهم

ردوا بغيظهم عن الأعقاب

بهبوب معصفة تفرق جمعهم

وجنود ربك سيد الأرباب

فكفى الاله المؤمنين قتالهم

وأثابهم فى الأجر خير ثواب

من بعد ما قنطوا ففرق جمعهم

بنزيل نصر مليكنا الوهاب

وأقر عين محمد وصحابه

وأذل كل مكذب مرتاب (٣٩)

---

٣٨ – المتخمط : هو المتكبر الشديد الغضب . والحلبة : جماعة الخيل التى تعد للسباق .

٣٩ – السيرة النبوية : ج ٣ ص ١٠٧١ – ١٠٧٢ .

وهكذا وجدنا شعر الجهاد الاسلامى فى ميادين القتال فى العهد النبوى يواكب جميع أحوال المعارك من بدايتها الى نهايتها .. فتارة يجىء فى صورة حماسة وتشجيع للمقاتل المسلم ، وأخرى يأتى مثبطاً لعزائم المشركين ومخذلا لهم عن مرادهم .. وتارة يأتى فى مجال الفخر فيتغنى بفرحة النصر على الأعداء والاعتراف بفضل الله على المؤمنين بما من عليهم من نصر وتأييد ، وتارة يأتى مواسياً المؤمنين وذلك فى حالات رثاء الشهداء ، أو عندما يخفق المسلمون فى معاركهم مع الأعداء ، وقد جاء كل ذلك فى لغة تتناسب مع المواقف المختلفة ، حسبما يقتضيه المقام — وإن كان الطابع العام لها الوضوح وعدم التكلف فى أساليبها .

وقد رأينا فى النماذج السابقة كيف استطاع الشعراء أن يوظفوا الكلمة ويضعونها فى موضعها المناسب مما أدى الى نجاحها وقوة تأثيرها فى النفس المتلقية على اختلاف أحوالها .

والحمد لله رب العالمين ،،